

## التعليم وعلاقته بالأقتصاد

مازن فيصل البلداوي  
almuhtaram2001@yahoo.com

التعليم، المعلومة، الكتاب، القراءة، التطور، التقدم ثم الرفاه الأقتصادي..... مترادفات لا يستطيع ايا كان ان يفرّقها او أن من يؤمن بالبناء السليم والصحيح لمجتمع مدني يبني على اسس قوية متينة يستطيع بموجبها افراده ان يكونوا احرارا غير مقيدي الفكر او العقل لهذا الأمر او ذلك الا بمقدار مايربطهم بمصلحة وطنهم، او على الأقل يكون امام الأفراد ان يمتلكوا آليات التمييز بين ما هو نافع وبين ما هو ضار بهم او بمجتمعاتهم او دولهم، لا يستطيع الخروج من دائرة تلازم المفردات اعلاه وضرورة تلازمها لتحقيق الهدف.

وبعيدا عن الدخول في دفاتر التاريخ وكتبه، فأني سألقي نظرة بسيطة على بعض العناصر التي تلعب دورا مهما في تشكيلة السلسلة الكلمائية التي ذكرتها ابتداءا كي نرى ونفهم مدى تأثير هذه العناصر على واقع التعليم ونستفسر من خلال المعطيات التي سنذكر عن اسباب توقف عجلة التاريخ لدى شعوبنا العربية بشكل عام ونقارن ماذا يدور بخلد الشباب الذين هم عماد كل امة تبني نفسها ولماذا يسيطر عليهم هدف الهجرة او الأرتحال من ارض الوطن، ومن حيث لا يعلمون فهم يتيحون المجال للأخرين من غير المؤهلين للزحف الى الفراغات التي تركوها او سيتركوها وسيشكلون اساسا لتغيير ديموغرافية الوطن بعد حين او انه سيكون تغييرا ثقافيا حتما كما هو حاصل في الكثير من البلدان التي هجرها ابنائها واصبحت اليوم بجوهر لا يطابق الصورة الموجودة لدى التاريخ ولدى باقي شعوب العالم بعد ان اكتشفوا بأن الصورة شيء والجوهر شيء آخر.

سنبدا بأحصائية لمنظمة اليونسكو اخذت سنة 2008 حول واقع التعليم ومراحله في المنطقة العربية ودول اخرى في العالم واخترت منها (لأنها ذات تفاصيل كثيرة) بعض الحقول الحيوية المهمة في حياة المجتمع، اذ ان هذه الحقول لها انعكاسات على بعضها البعض ومن قراءتها نستطيع تكوين استنتاجاتنا الأولية، فلنرى ماذا تقول الأحصائية الأولى:

أحصائية اليونسكو/2008... (= مؤشر البنك الدولي) ، (= \*\* = تقديرات منظمة اليونسكو) ،  
(00) = السنة

| المؤشر                      | البلد    |         |        |
|-----------------------------|----------|---------|--------|
|                             | السعودية | أسرائيل | العراق |
| السكان (مليون نسمة)         | 25.201   | 7.051   | 30.096 |
| السكان بعمر (0-14 سنة) %    | 31       | 26      | 38     |
| السكان (بالمناطق الريفية) % | *18      | *8      | *33    |

| .....   | .....   | .....    | (05)*18  | معدل الفقر %<br>(دخل الفرد أقل من \$2 /اليوم)               |
|---------|---------|----------|----------|---|
| *23,547 | *27,652 | *3,43    | *5,434   | معدل دخل الفرد السنوي \$<br>(حسب القدرة الشرائية)           |
| 15      | 3       | (07)**12 | (07)**5  | أطفال بعمر المرحلة الابتدائية<br>لكن خارج الدراسة %         |
| **19    | 80      | **19     | **19     | معدل انخراط الأطفال في<br>رياض الأطفال %                    |
| **84    | 95      | **84     | **84     | معدل انخراط الأطفال<br>للتعليم الابتدائي %                  |
| **68    | 100     | **68     | **68     | معدل انخراط الطلبة للمرحلة<br>الثانوية قبل التعليم العالي % |
| **21    | 70      | **21     | **21     | معدل انخراط الطلبة لمرحلة<br>التعليم العالي %               |
| *11     | 13      | (07) 17  | (07)**27 | معدل الطلبة لكل معلم/مدرس                                   |
| 19.3    | 13.1    | .....    | 11.9     | تخصيصات قطاع التعليم<br>من اجمالي الموازنة %                |

من الأستقراء البسيط للمعلومات اعلاه، نستنتج ان اسرائيل ومقارنة مع دول المواجهة الرئيسية (غير سوريا والأردن) كما تسمى، تعبير اهمية اكبر لقطاع التعليم ابتداءا من نسب الألتحاق بما قبل الابتدائية باعتبارها مرحلة تأسيسية للطالب ناهيك عن انها تعد بمثابة مرحلة انتقالية من عالم الأسرة الى عالم الأسرة الأكبر (المجتمع) وصولا الى مرحلة التعليم العالي! وهذا يعني ايضا بأن المجتمع الاسرائيلي متعاون جدا مع خطط الحكومة ويتق باختياراتها المناسبة للكوادر التعليمية بحيث انه حقق نسبة 100% كنسبة التحاق بالمرحلة الثانوية، وكما نعلم جيدا ان الأقتصاد الاسرائيلي لايعتمد على النفط كما هو الحال في العراق و السعودية، وهنا يجب ان نقف طويلا عند تأكيد تقارير منظمة اليونسكو الخاصة بالدول النامية عندما تقول ((يجب بناء وتطوير الإنسان بدرجة متوازنة مع عملية بناء وتطوير الأقتصاد لبلد ما))، فهل تدرك مجتمعاتنا هذا الأمر؟، ام ان المجتمعات قد ركنت واستسلمت وخنعت للعوز والحاجة حتى اصبح الأطفال والشباب يعملون بعد ابتعادهم عن مقاعد الدراسة للمشاركة في توفير دخل الأسرة التي لايفيها دخلها الحقيقي الذي من المفترض ان يوفره رب الأسرة! الا انه عجز عن تحقيق هذا لأسباب شتى قد تكون بسبب مرضه او عجزه الحسدي او عدم استطاعته المنافسة في سوق العمل نظرا للتطور الحاصل في الأقتصاد العالمي والأرتباط الأقتصادي بين الدول والذي يتأثر بالأوضاع الأقتصادية لباقي البلدان وبالتالي تأثر السوق المحلي بهذا التأثير المتبادل، ويضاف الى هذا السبب، سبب آخر من جانب الحكومات او المنظمات الأتجتماعية المعنية، فالحكومات واجبها ان تكون داعما اساسيا للأسر المستحقة للدعم الأتجتماعي-

الأقتصادي كي تستطيع ان تحافظ على ثروتها الرئيسية، الإنسان، هو الثروة الرئيسية وبغيره فلا فائدة للثروات المعدنية او الزراعية او غيرها، فهو الأداة وهو الهدف، ان دعم الحكومات المبني على تصورات صحيحة لمجتمعاتها وتشخيص مواطن الضعف الأقتصادي للوحدات الأتتماعية الصغيرة (الأسرة) والتي بمجموعها تشكل مفهوم الوطن والدولة، ومن ثم دعمها كي تحافظ على شباب او أطفال هذه الأسر للحفاظ على حياتهم الدراسية وعدم تشجيعهم على تركها كأستجابة للضغط الحصل نتيجة انخفاض دخل الأسرة كما بيّنا، ومن هنا تنتج لنا هذه المتابعة والدعم أواصر قوية وثيقة بين السلطة السياسية والفرد تؤدي الى تعزيز الثقة بين مكونات المجتمع والحكومات مما يؤدي بالحكومات الى المضي قدما في تنفيذ خططها المرسومة للنهوض بواقع البلد واستشراف المستقبل بعين بصيرة وثبات لايمكن لأي حادث طارئ ان يؤثر عليها،بينما سيبدل افراد المجتمع قسارى جهدهم في دعم هذا التنفيذ.

هذا الموضوع مرتبط ارتباطا مباشرا مع احصائيات أخرى تبين رغبة الشباب ممن اعمارهم تتراوح بين (15-29) للهجرة خارج اوطانهم بصورة مؤقتة حين تسنح لهم الفرصة وسنرى كيف يفكر الشباب بهذا الموضوع وماهي اسباب تفكيرهم، ونذهب الى استنتاج ان من يترك مقاعد الدراسة ويبقى بلا تعليم سيأخذ السعي لتحصيل لقمة العيش وبالتالي البقاء عرضة لقوى الشارع المختلفة من المخدرات والأنحلال الأخلاقي،والجرائم والتطرف الديني وكيف سينساق الفرد الى اسهلها كي يحصل على المال بصورة سهلة يسيرة.

من أحصائية دراسية موسعة قامت بها مؤسسة سيلاتيك بالتعاون مع مؤسسة غالوب خلال سنة 2010 واسمها (أصوات الشباب العرب) ،وسنأخذ محورين اساسيين من محاور الأحصائية الواسعة احدهما يمثل نسب توزيع الشباب من عمر(15-29 سنة) حسب حالة الوظيفة الحالية ،والآخر سيتناول النسب الخاصة بتفاصيل فترة الأنتظار مابعد التخرج ليلتحق بها الفرد بالعمل ويبدأ بتأمين احتياجاته كي يستمر بعبطائه لمجتمعه وبيني حياته المستقبلية لأن هؤلاء الشباب يعتبرون عناصر غير فعالة اثناء فترة الأنتظار،وجاء كالاتي:

#### مصر/المحور الأول:

27 % طلاب ، 29 % موظفون/عمال لوقت عمل كامل ، 6 % موظفون/عامل بوقت جزئي ، 38 % بطالة.

#### العراق/المحور الأول:

38 % طلاب ، 19 % موظفون/عمال بوقت كامل ، 5 % موظفون/عمال بوقت جزئي ، 38 % بطالة

#### السعودية/المحور الأول:

35 % طلاب ، 38 % موظفون/عمال بوقت كامل ، 3 % موظفون/عمال بوقت جزئي ، 24 % بطالة

اما على صعيد المحور الثاني فجاء بشكل اجابة على السؤال التالي:  
هل تعتقد انه اذا ما تدخلت الحكومة بوضع خططها لتأمين فرص عمل للخريجين بعد تخرجهم، فأى من القطاعات المهمة لمستقبلك سيتأثر بهذا الترتيب والتهيئة؟ فجاء الجواب كالاتي:

#### مصر/المحور الثاني:

10 % توفير سكن مناسب ومتاح ، 84 % وظائف جيدة ، 6 % تكاليف الزواج .

### العراق/المحور الثاني:

20 % سكن مناسب ومتاح ، 66 % وظائف جيدة ، 10 % تكاليف الزواج ، 4 % ليس لديهم فكرة/رفضوا.

### السعودية/المحور الثاني:

27 % سكن مناسب ومتاح ، 59 % وظائف جيدة ، 12 % تكاليف الزواج ، 2 % ليس لديهم فكرة/رفضوا

نقرأ هنا ومن النتائج المذكورة بأن غالبية الشباب يؤكدون على ان الوظائف الجديدة هي محط انظارهم، ونعلم جيدا بأن توفير الوظائف الجيدة مناط بالخطط الحكومية وبرنامج تنمية المجتمع والأرتقاء بالواقع الاقتصادي على قطاعه المختلفة تأتي اولوياتها حسب الحاجة التي يعكسها واقع المجتمع ونتائج الدراسات المرتبطة بشكل اساسي بالأحصاءات المتعددة والمتنوعة والدقيقة التي تجربها الجهات المختصة كي تتضح الرؤيا لدى المختصين ليتم بعدها وضع تلكم الخطط حيز التنفيذ.

ان مناقشات اسباب التباين بين نسبة الانخراط في مرحلة ما قبل الأبتدائية قد يكون لأسباب موضوعية وقد تبقى قائمة لفترة طويلة، لأنها كما اعتقد مشتركة بين المستوى الذي يقدمه القطاع العام لهذه المرحلة وبين طموح الأسرة، فقد يكون مستوى الأبنية والمستلزمات هو احد الأسباب التي قد تجعل الأسرة تنردد في ادخال ابناءها الى تلك المؤسسات التي تتولى ادارة هذه المرحلة، وقد يكون مستوى المشرفين او المشرفات على هذه المرحلة وقد يكون عدم تيسر المؤسسات بالقرب من مناطق السكن.

الا ان المرحلة الأبتدائية هي مرحلة مهمة جدا واعتقد بانها مرحلة تساهم بتقليص نسبة الأمية في اي مجتمع كان، وعلى هذا الأساس فاني اعتقد ان مسؤولية هذه المرحلة والتي تليها يجب ان تكون تحت نظر لجنة مشتركة بين وزارة التعليم ووزارة الداخلية ووزارة الصحة، اذ تستطيع هذه الوزارات الثلاث بالتعاون مع الأسرة وباستخدام طرق الاتصالات الحديثة (الأنترنت) حصر عملية التسرب المدرسي من قبل الطلبة وبالتالي فإن هذه المتابعة قد تشكل رادعا اساسيا للطلبة الذين يحاولون التسرب.

ولاننسى الدور المهم للأسرة في هذا الجانب،فإن المتابعة والتواصل بين ادارة المدرسة والأسرة لهو امر شديد التأثير على انضباط الطالب والتزامه،فقد ينظر الكثير منا الى موضوع الأجتتماعات الدورية لمجلس الباء والأمهات والهيئة التدريسية بعين الأستصغار والتهميش واللامبالاة،الا ان حقيقة الأمر هي ان هذه اللامبالاة الخاطئة هي احد مرتكزات تدهور التعليم ومستوى التقدم في بلداننا، ان تكوين هيئة متابعة بين أسر الطلبة للتواصل المستمر بين الأسر والمدرسة لهو امر شديد الفعالية، فمن خلالها سنعرف ونتعرف اكثر على تصرفات اولادنا وبناتنا خلال الفترة الدراسية وضمن اجواء مختلفة كلية عن اجواء البيت التي قد لا نتيح لنا ان نراهم على حقيقة تصرفاتهم الشخصية والأنتباه الى اي انحراف عن جادة الطريق الصحيح(ان حصل) كي نستطيع تقاديه في

مراحلہ الأولى وعدم اہمالہ او ترکہ کی یستفحل وبعد ذلك نعوض بالنواجذ علی الأصابع ندما لن ینفع.

کما اننا باتصالنا المباشر بالہیئات التعلیمیة فی المدارس یجعلنا نطلع علی طبیعة الہیئات التعلیمیة وشخصیاتہم عن قرب لنری اذا ماکانوا جدرین بالثقة التي اولیانناہمیاہ لتعلیم اولادنا وبناتنا،ام انہم قد شغلوا مناصبہم التربوتعلیمیة ہذہ عن طریق التعینات الجزافیة التي یشغل بہا المعلم منصبہ کی یكون مصدرا لدخلہ غیر أبہ بالمستوی التعلیمی للطلبة،ناہیک عن ان ہذہ المراقبة المستمرة والتواصل یجعلنا فی موقع یؤہلنا کی نری طبیعة المناہج الدراسيہ ومدى مساهمتہا فی تطویر المستویات الذہنیة والعلمیة لأبناءنا وبناتنا وبالتالي ایصال الصوت الی الجهات التشريعیة للعمل علی الأسهم فی تغییر تلکم المناہج والغائہا او تبدیلہا بما هو نافع للأجیال.

من باب آخر فإن مسؤولیة اخرى تقع علی عاتق وزارتیین أخریتین وهي وزارة الشؤون الأجتماعیة ووزارة التعلیم لتحديد ورصد الحالات التي یكون فیہا مستوى دخل الأسرة یشکل عائقا امام الأبین او الأبنیة لتکملہ دراستہ وانشغالہ بالعمل کما أوضحنا اعلاه.

أما وزارة التخطيط فهي معنیة بموضوع البطالة بتعاونہا مع الوزارات الأخری لتذلیل الصعوبات امام العاطلین عن العمل وشمولہم بالمسوحات الأحصائیة الدقیقة کی یكون الأستثمار الحکومی ناجحا عندما یخصص جزء من المیزانیة العامة الی وزارة التربیة والتعلیم والتعلیم العالی،ناہیک عن مساهمة الخریجین بعد التعلیم الثانوی او الجامعی فی رفق سوق العمل وتحریک عجلة الأقتصاد الداخليہ والخارجیة وحسب ارتباطہم بقطاعات الأقتصاد المختلفة.

اما وزارة التربیة ومسؤولیة کبری من توفير المستلزمات المدرسیة وصيانة الأبنیة وتوفير المختبرات المدرسیة والتجديد فی كتب المناہج لہو امر جلل یقع علی عاتق التربویین، کی یكون فیہا الطالب متواکبا مع التجدد الذي یجری فی العالم، وان لا یعیش خارج ہذا التجديد الذي هو کل یوم فی حال وسیعتمد ہذا علی الأشخاص المنندیین للعملیة التربوتعلیمیة من کفاءتہم العلمیة الی خبراتہم وصولا الی میزاتہم الشخصیة وہذا بالتأکید منوط بالسلطة التنفیدیة.ان عدم توفير ہذہ الخطط والفرص وانخفاض معدلات الدخل ستؤدي الی ہجرة هؤلاء الشباب الی دول اخرى لن حیاتہم مستمرة ولن تعود الی الخلف وقطار الزمن ماض ولن یتوقف الا اذا کان مقصودا من قبل قوی قد تكون اقتصادیة او اجتماعیة او سیاسیة تہدف الی تدمیر النسیج الأجتماعی-الأقتصادی لبلد ما.

موضوع التعلیم لوحدہ یتحمل الكثير من التداخلات والتفاصيل التي لا یمكن جمعہا فی مقال واحد او زاویة واحدة، الا انی اخترت زاویة الأقتصاد باعتبارہا صاحبة التأثير الأساسی علی المجتمع والأثر الكبير الذي یلعبہ التلازم بین التعلیم والأقتصاد.